ان يعذبهم قبل القيمة ولا يبعد مع امهاله اليها اذ الله شديد العقاب فالامهال انما يكون باعتبار
العذاب الاخروي الذي هو اشد من الدنيوي الموعود لا بل بداوة المؤمنين اليوم فانهزم الناس
فلما رجعوا الى مكة قالوا هزم الناس سراقة بن مالك فبلغه فقال قد بلغني انكم تقولون هزمت الناس
فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه كان الشيطان وانما قال الشيطان
لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم حين راى الضعف في المؤمنين اذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض اي ضعف ايمان غر هؤلاء المقاتلين مع اضعافهم دينهم فطلبوا انه
ينصرهم ويكفيهم من دينهم في نصرهم توكلهم فان من يتوكل على الله ينصره على اضعافه باضعاف
ما طلبوا فان الله عزيز اي غالب على ما اراد ولا بد ان يريد نصر اوليائه لانه حكيم والحكمة تقتضي
نصرهم ثم اشار الى انه لا غرور في ان يموت شهيدا بل في ان يحيى كافرا فقال ولو ترى اذ
يتوفى الذين كفروا ولو بعدما فازوا بمقدار من الحيوة الدنيوية الملائكة يضربون بسياط
من نار قبل وصولهم الى القبر والقيمة وجوههم ما اقبل منهم وادبارهم ويقولون لهم ضما للعذاب
العقلي الى الحسي ذوقوا من ضربنا اياكم عذاب الحريق اي النار الملتهبة في جراحاتكم وليس
ذلك منا ابتداء بل ذلك الضرب الشديد بما قدمت الى الله ايديكم من المعاصي الموجبة لغضب الله
وهو وان اشتد غضبه لا يظلمكم ان الله ليس بظلام للعبيد وان بالغ هذه المبالغة في تشديد العذاب
ولا يبعد هذا الضرب من الملائكة قبل القيمة فان غايته انه تعذيب دنيوي فهو كدأب آل فرعون و
داب الكفرة الذين من قبلهم ممن سار سيرة هؤلاء في انهم كفروا بايات الله فلم يبالوا بمعاصيهم
فاخذهم الله قبل يوم القيمة بذنوبهم وان اخر التعذيب بها في حق البعض لانهم اجترؤا على معاصيهم
بما راوا لانفسهم من القوة فضعفهم اظهارا للقوة ان الله قوي على ان تأخير العذاب انما يكون
للرحمة لكنه لما اشتد عنادهم اشتد غضبه لانه شديد العقاب لمن اشتد عناده معه فلا يكون
له في حقه رحمة ذلك التعذيب الذي علم كونه مؤاخذة بالذنوب بان الله جرت سنته على انه لم
يك مغيرا نعمة وان كان مغير الشدة كثيرا بغير تغيير اهلها ما هم عليه انعمها على قوم وان كان تغير
ما انعم على واحد اذا تبين من غير تغيير لما هو عليه حتى يغيروا ما بانفسهم من موجبات تلك النعم
من اعتقاد او قول او عمل بغيره اذا غيروه غضبا عليهم بما يسمع منهم او يعلم ان الله سميع عليم
وقد جرت به سنته كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كان مبدأ تغييرهم انهم كذبوا بايات ربهم
اي الذي رباهم بالنعم فصرفوها الى غير ما خلقت له بمقتضى تلك الآيات فكانت ذنوبا فاهلكناهم
زيادة على سلب النعم بذنوبهم حاصرفوا بها النعم الى غير ما خلقت له واغرقنا آل فرعون لاغراقهم
النعم في بحر الانكار بنسبتها الى فرعون حيث اقروا بالهيته وغيرهم وان لم يغرقوا في الدنيا فكلهم

يغرقون

يغرقون في الاخرة في بحر النار وكل كانوا ظالمين بصرف النعم الى غير ما خلقت له وهو نوع من
الاغراق لها في بحر الانكار لانه مرجع التغيير لها ثم اشار الى انه عز وجل كيف يترك نعمه على من غير
احواله التي كانت اسبابا للنعم وقد كان بها انسانية فبتغييرها لحق الدواب وبانكار
المنعم صار شرا منها فقال ان شر الدواب عند الله وان كانوا عند الناس اعقل الناس الذين
كفروا والنعم تسلب ممن لا يعرف قدرها فكيف لا تسلب ممن ينكر المنعم وهو وان ادام عليهم
المنعم فهم يدومون انكار المنعم اذ لا يؤمنون ويدل على عدم ايمانهم بالله نقضهم عهوده لكونهم
الذين عاهدت منهم وعهدك بمنزلة عهد الله ثم ينقضون عهدهم لا مرة واحدة او مرتين حتى
يقال يعودهم الى الايمان بل في كل مرة كيف والمؤمن لابد وان يتقي الله في نقض عهوده في
بعض المرات وهم بتكرار النقض علم انهم لا يتقون اصلا فهم في معنى الآمنين من مكر الله وهم
الكافرون واذا اعتادوا نقض العهد في كل مرة فاما تثقفنهم اي فان تحقق بمصادفتهم نقض
العهد في الحرب فشرد بهم اي فافعل بهم ما يفرق اجتماعهم على النقض على خفية تجنبا بسببه فعل
من يفعل من خلفهم اي وراء ظهورهم لعلهم يذكرون اي يتعظون واما تخافن من قوم خيانة
اي وان تحقق لك من قوم خوف الغدر بظهور اماراته فيهم فانبذ اليهم اي فالق اليهم عهدهم على
سواء اي طريق ظاهر يستوي في معرفته الكل لئلا يكون فيه شيء من الغدر اذ هو خيانة وان
كانت في مقابلة خيانتهم ان الله لا يحب الخائنين وجه الغدر في الحرب انما هو بعد نبذ العهد
ولا يحسبن الذين كفروا عند نبذ العهد الموفظ لهم انهم سبقوا اي غلبوا لان السبق منهم انجاز
منهم لله وفي وعده النصر للمؤمنين انهم لا يعجزون ان كسر فالجملة تعليلية وان فتح فبتقدير لام
التعليل واعدوا لهم لدفع توهم سبقهم ما استطعتم من تحصيل قوة ما يتقوى به في الحرب
من الآلات سيما الرمي ومن رباط اي شدة الخيل بل ترهبون اي تخوفون به اي بذلك
الاعداد عدو الله باثبات الشرك وابطال كلمته وعدوكم اي الذي يظهر عداوتكم تخوفونهم
لئلا يحاربوكم باعتقاد القوة في انفسهم دونكم وترهبون قوما آخرين من دونهم اي من دون
من يظهر عداوتكم وهم المنافقون وان كنتم لا تعلمونهم انهم يعادونكم لكن الله يعلمهم انهم اعداؤكم
يظهرون عداوتهم اذا راوا ضعفكم ولا تخافوا من انفاق المال في اعداد القوة ورباط الخيل فانه
ما تنفقوا من شيء في سبيل الله فيه اشارة الى ان المنفق في سبيل الغير لا يجب تعويضه يوف
اليكم عوضه في الدنيا من الغنى والغنيمة والجزية والخراج ولو فاتكم ذلك انتم لا تظلمون لمع خزائنه
في الاخرة وعند رؤيته اعداد القوة ورباط الخيل ان جنحوا اي مالوا وانقادوا للسلم اي الصلح
فاجنح لها اي فمل الى موافقتهم بانقيادها وان قدرت على محاربتهم لان الموافقة ادعى لهم

Copyright © King Saud University